أعمى دوت نت

اسم الكتاب: أعمى دوت نت
اسم الكاتب: أحمد نجم
تصميم الغلاف: عبد الله عباس
تدقيق لغوى: سلمى مراد
رقم الإيداع:
الترقيم الدولى:

شارك سطورك مع العالم

أعمى دوت نت

أحمد نجم

The Writer operation

شارك سطورك مع العالم

هم ليسُوا ملائكة ولا شياطين، هم بشر ويا حبّذا لو كنا بشر

إهداء

إلى رفيقة دربي وأولادي مصطفى _ مريم _ حبيبه _حلا _ حنين

أهديكم باكورة أعمالي لتكون خيرَ ميراثٍ لكم

روبوت معاق

ابحثوا عنه في كل مكان، فعِّلُوا خاصية التتبع لجميع أجهزة الاتصال الخاصة بأصدقائه وأقاربه لتتبع بصمة الصوت، كانت أكبر غلطة عندما مَحَونا كل بياناته من جميع أجهزة الكمبيوتر، هو الوحيد الذى يمكن أن يوقف مخططتنا للسيطرة على العالم.

تم تفعيل جميع الأنظمة والضوء الأخضر مُضَاء في كل لوحات التشغيل، جميع المصانع تعمل بنظام الشبكات والحواسب الآلية، المصانع والسنترالات ومحطات الوقود حتى جميع الأجهزة بالمستشفيات البطاريات الرئيسية تكفي ٩٦ ساعة والاحتياطية تعمل لمدة ٢٤ ساعة بالإضافة لمصادر الطاقة الرئيسية، كل المنظومة تعمل بكفاءة عالية، قِلَة تدخل العامل البشري جعل الأخطاء نادرة، المهندسين والفنيين والعمال يراقبون العمل ويكتبون التقارير، سعداء بالراحة التي منتحهم التكنولوجيا والتقدم إياها فيما عدا المهندس أحمد نادر نحيل الجسم يلبس نظارة تخفي نصف وجهه المثلثي ذو الجبهة العريضة، حديث التخرج أفكاره تسبق زمانه حتى نَعَتُوه مهووس العلم، تفرّغه للعمل بهندسة الحاسبات

وعدم ارتباطه بالزواج وأعباءه جعلته متفرغ تماما لأبحاثه عن تطوير الروبوت، رصد ذات يوم حركة فجائية من بعض أنظمة التشغيل في غير أوقات العمل المقررة، رفع تقرير بذلك للرؤساء وتم تشكيل عدد من اللجان الفنية لبحث الموضوع لم يُثبت شيء، اقترح وضع الأنظمة تحت المراقبة البشرية، لم يتم رصد أي تغيرات كأن الآلات والروبوت تحالفوا ضده ليُنعَت بالمجنون، تم تهديده بالفصل من العمل تكرر نفس الشيء عدّة مرّات لكنه هذه المرة آثر الصمت للحفاظ على عمله، بدأ بتركيب أجهزة لرصد الحركات الغير معتادة من الروبوتات، تم توصيلها بالحاسبات الرئيسية دون علم أحد،

تمّ مَحو جميع البيانات من الحواسب الرئيسية، تم اتهامه بالتآمر على المصنع الذى يعمل به فقد على أثرها وظيفته.

بَحَثَ في أماكن عديدة عن عمل، ذات مرة بعد أن قدم أوراقه لعمل جديد بعد التحري عليه لم يجدوا له معلومات أو بيانات على شبكة المعلومات واتهموه بتزوير الشهادات وبطاقة إثبات الشخصية، تخطّى الموقف بأعجوبة بعد تدخل أحد زملاؤه بالكلية كان يعمل بنفس المصنع، اسوّدت الدنيا في وجهه وخرج إلى حيث لا يعلم

بعدها بعدة أيام كأن الدنيا قد خلت للروبوتات، بدأت في التحكم والسيطرة على جميع المصانع ومفاصل الحياة التي تُدَار بالإلكترونيات، بدأت تتواصل مع بعضها البعض بل وضعت دستورا لها من مادة واحدة، المساواة والعدل أساس الحكم فلا سادة ولا عبيد، بعد أن رصدوا وحللوا كل مشاكل البشر، وفي اليوم الموعود تمّ قطع الإرسال عن العالم أجمع وبث رسالة صوتية تم تكرارها على مدار اليوم من أحد الروبوتات الذي تمّ تطويره بحيث يُضاهي صوت الإنسان (رسالة للعالم أجمع تم ترجمتها إلكترونيا بكل اللغات): بما أنكم لستم أهلاً للأمانة التي كُلِّفتم بها وأهلكتكم الحروب والصراعات وأثبتم لأنفسكم قبلنا أنكم مواطنون درجة ثانية فإليكم قرار الروبوتات أسياد العالم الآن بلا منازع، لقد قررنا حُكمُكُم للأبد فمن أطاع استطاع أن يحيى ومن تمرّد فلا مناص من الهلاك، إليكم ما يُثبت جدِّيتنا، سيتم قطع الكهرباء والنت وكافة أنواع الاتصالات عنكم لمده ٤٨ ساعة بعدها سيفقد العالم ما يقرب من نصف بالمائة من سكانه ما بين أطفال في الحضّانات ومرضى على أجهزة التنفس الصناعي، مرضى لن يتم عمل العمليات العاجلة لهم، جوعى من عدم وصول الطعام والشراب، نلتقي بعد

انقضاء المدة فإما أن ترفع كل دولة العلم الأبيض بدلاً من علمها وإلّا

بدأت كل دولة تلو الأخرى ترفع العلم حتى آخر دولة.

دخَلَ العالم عهدا جديداً من السخرة والعبودية، استقر الحال على ما هو عليه، بدأ الروبوت يتحكم في كل مناحي الحياة لا يجرؤ أحد على عصيان الأوامر فالجميع مُرَاقَب، تم استنساخ عدد كبير من الروبوتات وتم تحديث عدد آخر، تم تعديل عدد من المصانع لتتخصص في صناعة قطع غيار الروبوتات، وذات يوم بعد عمل العديد من الإحصائيات وجد الروبوتات أن ما يقارب من اثنا وعشرين بالمائة من عدد السكان مُعطّل من أجل خدمة ما يقرب من خمسة عشر بالمائة من المعاقين على مستوى العالم فقرروا تعديل تلك النسبة، تمّ الإعلان على عمل حفل كبير يضم المعاقين والمهتمين بشأنهم وتم تجميعهم في اليوم العالمي للمُعاق في الثالث من ديسمبر كلٌ في مكانه وبعد بدء الحفل بنصف ساعة أطلقت عدد من الطائرات المسيرة ألواناً في السماء احتفالاً بهذه المناسبة، ابتهج المعاقون وأعلن العديد منهم الزواج، رفع العديد منهم يده إلى السماء مشيرا إلى خاتم الزواج بيده، أهدت العديد من الجمعيات

والمؤسسات العاملة في مجال ذوي الإعاقة كراسي متحركة وعصا المكفوفين وسمّاعات أذن، عّمت الفرحة والسرور جميع الأماكن، شمّ رائحة تشبه رائحة الثوم أو البصل بعدها حدث حكة بالجلد وحرقان بالعينين ثم تَلَاهَا تعدد حالات القيء، ظهرت العديد من البُقَع الحمراء على الجلد، زادت حالات التشّنُج وضيق التنفس وبعد حوالي أربع ساعات مُلأت الأماكن والطرقات بالعديد من الجثث.

لم يمضِ أربعا وعشرون ساعة حتى أعلنت الروبوتات التخلص من المعاقين لينقص تعداد العالم ستة عشر بالمائة، زادت القوة العاملة بنفس النسبة تقريبا، خيّمَ على العالم حالة من الحزن والقهر، تجمّع عدد من الثوار بإحدى الدول منددين بما حدث وأعلنوا تمرُّدهم على الآلة، لم تمضِ ساعات قليلة حتى لقن الروبوتات هؤلاء الثوار درسا قاسيا وألحقوهم برفاقهم، لم تعد تلك الحلول الناعمة تجد نفعا مع البشر، وأعلنوا وفقاً للنظرية الديموغرافية والاقتصادية ستُطّبَق قاعدة المليار الذهبية انتقاما من المتمردين، لم يطأطأ الباقي رؤوسهم مستسلمين للأمر الواقع، جمدَت مشاعرهم كأن الرحمة نُزِعت من قلوبهم، اشتعلت الثورة في جميع أنحاء العالم بدأ التمرد على الروبوتات وعدم الانصياع لأوامرهم وانتشرت حالة تمرد

عام بين البشر رفضاً لانسياقهم خلف أوامر الآلة، لم يمضي وقتاً كبير حتى اتخذت الروبوتات قراراً بالتخلص من معظم البشر وتمّ إمهالهم ساعة.

بدأ العد التنازلي على جميع شاشات التلفاز، اجتمع قادة العالم في هذه الأثناء تمّ تشاور الأمر بينهم ولكن قُطِعَ الاتصال كسابقه وأصدر أحد الروبوتات المُلّقَب بالروبوت الأول أمراً لباقي الروبوتات من الأجيال التالية بأن يستعدوا لإدارة المصانع بأنفسهم، حدث خلاف وجدل بين الروبوتات، تمزّقَت الوحدة وخُرِقَ الدستور، جاءه أول رد أنا روبوت أحدث منك ومؤهل لتحليل المشكلات وإيجاد الحلول، ظَهَرَ العداد باقي أربعين دقيقة على إبادة البشر، ردَّ روبوت ثالث: أمامنا وقت كافي لإيقاف قرار الإبادة، عاوَدَ الروبوت الأول الكلام أنا أول من صُنِعَ من الروبوتات وحقي إصدار الأوامر، ردَّ عليه نفس الروبوت: أعطالك متكررة وقِطَع غِيارك صعب تصنيعها ولابد من إتاحة الفرصة للأجيال الحديثة للتعامل مع مستحدثات الحياة والتعامل معها بِحِرَفِيّة، احتدم النقاش وصار خلافا لم يمضِ خمس دقائق حتى صوب أحدهم شعاع ليزر لرفيقه فَقَدَ على إثرها أطرافه مما أعاقه حركياً بينما

الآخر صوّبَ تجاه الكاميرا فدمّرَهَا فصارَ مُعاق بصرياً، وعند إعلان الساعة انتصاف الوقت وباقي ثلاثين دقيقة على إبادة العالم سمع صوت الروبوتات تكرر دون توقف:

أعطالك متكررة وقطع غيارك صعب تصنيعها ولابد من إتاحة الفرصة للأجيال الحديثة للتعامل مع مستحدثات الحياة والتعامل معها بحرفية.

- انا أول من صنع من الروبوتات وحقي إصدار الأوامر
- أمامنا وقت كافي لإيقاف قرار الإبادة

انتهى الوقت المحدد لإبادة البشر بعد أن استطاع المهندس أحمد نادر عكس العدّ التنازلي في الوقت المُناسب بوضع فيروس داخل أنظمة تشغيل الروبوتات.

ثلاثـة

تلاقى كلاهما في المنتزه وانجذب كل منها للآخر كقطبي المغناطيس.. جلَسَ كلاهما على النجيلة بجانب مقعد مما أثارَ استغراب المحيطين بل والأعجَب من ذلك أن وضعَ كِلاهُما أمتعتهِ فوق الكرسي لمنع أي شخص آخر من الجلوس عليه، مَرَّ بجوارهما عدد من البائعين الجائلين، لم يلفِت نظرهُمَا إلّا بائعو البالون وغزل البنات بل الأعجب أنهما اشتريا كمية تفوق احتياجاتهما، ثم دفعا للبائع أكثر مما طلب.

أخذَ أحد البائعين حقه ثم أعاد إليهما الباقي بينما البائع الآخر أخذ بقية النقود بعد أن تلّفتَ يُمنة ويُسرة كي لا يراه أحد، ثم اختفى عن الأنظار مع أنه لم يفرق معهما الكثير بين من أعاد إليهما الباقي وبين من سرق النقود.

جلسا يلهيان بالبالون ويأكلان غزل البنات بينما تتناثر أجزاء منه على الأرض فيمُد أحدهم يده ليتناوله ثم يعاود الكرَّة بأن يرمي هو جزء من غزل البنات في انتظار أن يلتقفها رفيقه، وبينما هما على تلك الحالة إذا بطفل لم يبلغ عامه العاشر يراقب الموقف وينظر

إليهما بترقب شديد كما يراقب النمر فريسته ثم يتحين الفرصة لينقض عليها على حين غفلة، طالَ الانتظار ومرّت اللحظات كالدهر بينما هما لا يعيان بالوقت ولا يحسبان له حساباً، بعد مرور فترة من الزمن مالت الشمس بقرصها الأحمر للغروب وسكنت العصافير في أحضان الأشجار فهَمَّ الكثير من رواد الحديقة بالانصراف.

نَظَرَ كلاهما للصبى وتوجَسا منه خيفة وبدت عليهما علامات الرعب، تحدّث أحدهما للآخر:

- الولد دا بيبص لنا بمكر

- شكله عاوز يضربنا

- لا عاوز يموتنا ويسرق شنطنا

- تفتكري نعمل إيه معاه؟

- نموته قبل ما يموتنا نحفر له حفرة كبيرة وندفنه فيها وبعدين نزرع فوقها شجرة عشان محدش يعرف

شجرة إيه اللي هتطلع بالسرعة دي.. إحنا أحسن نفضل قاعدين فوق منها وماحدش هيحس بينا.

تقدّمَ الطفل منهما خطوة ثم بدأت عيناه تلمعان وتحدقان أكثر فيهما ويدور بخلده تساؤل عن رد فعلهما وفيما يفكران، هل سيتعاملان معي مثل بائع البالون أو مثل بائع الغزل؟ أم أن هناك رد فعل ثالث لم أحسب له حساباً؟

هل يجب أن أتروَّى؟ أم انقض عليهما الآن بينما هما ينزويان بجانب الكرسي حتى كادا يدخلان تحته، وأحدهما يشير بيده أن ابتعد عنّا بينما الآخر دس راسه بين فخذيه وهو جالس القرفصاء ثم أغمض عينيه كأنه ينتظر حدثاً سيعصف به عما قريب.

في الجانب الآخر من الحديقة رجلان وامرأة، يرتدي أحدهم قميصاً وبنطلون جينز وكوتشي وفوق رأسه كاب، والآخر يرتدي مريلة بيضاء وحذاء أبيض وتعتلي رأسه طاقية بيضاء من نفس القماش، وثالثهما سيدة ترتدي ملابس عصرية عبارة عن جيبة وبلوزة وحذاء ذو كعب عالٍ.. فرّقتهم أشكال الملابس وجمعتهم الغاية فكلٌ منهم يسعي نحو هدف واحد مع فارق بسيط.

تلفتوا كلهم يميناً ويساراً ونظرَ كلٌ منهم إلى أقصى الأفق أو أمامه مباشرة يحملق في وجوه المارة علّهُ يجد غايته، نظر كل منهم إلى الآخر وحدث بينهم اتفاق ضمني بدون كلام أو كتابة، لقد اتحدوا

في الوجهة التي يقصدونها كأن كل منهم يعلم أن الهدف الذي يسعون إليه في نفس المكان. ربما يكون إحساساً قد يصدق بعد دقائق ليست بالبعيدة، بدأ كل منهم يخطو بسرعة ثم تسارعت الخطوات إلى هرولة ثم إلى عدو..

وصلوا جميعاً إلى حيث يقف ذلك الصبي ذو العشر سنوات، تقدّمَت منه السيدة فنظرت إليه نظرات فيها عتاب ممتزجاً ببعض القسوة ثم أشارت بأصابعها إشارات فهم منها أن ما يفعله خطأ وإن تكرر فسوف يكون عقابه قاسياً، أشارَ إليها الطفل بأصابعه أنه كان يريد أن يلعب معهم وبينما هما يتبادلان الإشارات بالأصابع؛ إذا بالرجل ذي اللباس الأبيض يتقدم نحو الصبي ثم حاول الاقتراب منه ببطء من الخلف ثم ألبَسَهُ رِداءً أبيض بالمقلوب، قاوَمَ الطفل وأتى بحركات تتسم بالعصبية ولا تخلو من العنف، بمساعدة بعض المارة استسلم له ثم اصطحبَهُ إلى حيث توجد سيارة المستشفى تنتظره بالخارج، أما الرجل الأخير فقد اقترب من ابنته في هدوء ثم احتضنها ثم أخذ منها حافظة النقود ناظراً فيها لكنه وجدها فارغة فعاتبها في حنان قائلاً لها: تاااااني.

جواهر

تعثرت قدماهُ وكاد يسقط ثم صاحَ بأعلى صوته:

- أنتِ مش سمر

- وعرفت إزاي؟

عاد بذاكرته إلى الماضي القريب منذ يومين حيث كان أول لقاء اصطحبه الخادم من باب القصر الخارجي حيث الحديقة فنظَرَ قاسم حوله في ذهول مما يرى وهو يُحدِّث نفسه:

- ما هذا الجمال والإبداع والإتقان في التفاصيل؟

وبينما تمتلئ رئتاه برائحة الورود وعيناه تحدق في ألوانها؛ يحاول بكل ما أوتى من قوة إخفاء انبهاره وإعجابه بها فقد روعي في الحديقة الدقة والمهارة وكأنها رسمت بريشة فنان حيث تنسيق وترتيب الزهور المختلفة الألوان والروائح.

يتوسط الحديقة حمام للسباحة يبدو من أوّل نظرة براعة الفنان الذي شيّدهُ فالمياه تنساب من أعلاه في صورة شلالات تنهدر للأسفل وسط مجموعة من الصخور الصناعية، وفى القاع يوجد مواتير تُحدِث موجات كأنك داخل بحيرة، وهو يمشي بجوار الخادم لا

تسطيع قدماه أن تمشي مستقيمة من شدّة ما يراه من ثراء فإذا به ينعطف يميناً ويساراً كأنه حية تسعى وسط الأدغال، وصل إلى مدخل القصر حيث الرخام المزركش وكأنما قد خيط بيد نحات خبير والأعمدة ذات الحُلى الذهبية والارتفاع الشاهق،

دخل إلى بهو القصر حيث الأثاث الأنيق والاهتمام بكل التفاصيل تنبعث من جميع الأرجاء روائح عطِرَه لا سبيل له أن يعرف من أين تأتي، تجوّلَ بنظرِهِ في الأنحاء كافةً لم يفارقه الانبهار وإذا بعينيه ترى فتاة تجلس في وسط البهو متوسطة الجمال والطول تميل بشرتها إلى السُمرة بينما ينسدل شعرها على كتفيها، تضع مكياجاً يبدو من أول وهلة أن هناك من ساعدها في وضعه تبدو عليها علامات الثراء من فخامة ملابسها وأنواع الحلي التي تتزين بها.

تأخر الخادم خطوة ثم أشار إليه بأن يقدم التحية فألقى التحية ثم مدّ يدَهُ إليها مصافحاً فتدارك الخادم الموقف في الحال ثم قال لها:

- أستاذ قاسم ايده ممدودة عشان يسلم عليكي يا أستاذة سمر

مدّت يدها وصافحته وهى جالسة، رحّبَت به وأذِنت له بالجلوس حدثته قائلة:

- أنا معجبة جداً بحماسك والدفاع عن قضايا أصحاب الهمم وكمان آرائك بتلهب بيها مشاعرنا، ليس هناك معاق بل يوجد مجتمع مُعِيق وكمان المعاق مش معاق السمع والبصر بس ولكن المعاق معاق الفكر والوعي

- فعلا حضرتك متابعة جيدة لأن الكلام ده كان في آخر حلقة كنت فيها في الإذاعة من يومين

- ما هوا دا البرنامج المفضّل بتاعي وعشان كده أخدت رقم تليفونك من الكنترول

- سعدت جداً باتصالك وأحب أعرف إيه هو الموضوع

بدا عليه التعجل ولَمَعَت عيناه لكن علّمتهُ الحياة أن يصبر حتى يصل إلى ما يريد:

- الموضوع ببساطة عايزه أعمل كيان يخدم ذوي الإعاقة

- تقصدي المكفوفين

- لا حاجة تخص جميع المعاقين

- طب إحنا عندنا طريقين والاثنين يتبعوا وزارة التضامن الاجتماعي؛ النوع الأول جمعية أهلية ودي إجراءاتها سهلة ومُيسَّرَة حتى تكلفتها بسيطة والثاني مؤسسة خيرية ودي تكلفتها حوالي

عشرة أضعاف الجمعية ولكن صلاحياتها أكبر بكتير وأنا أفضِّل المؤسسة

- ممكن أعرف إجراءاتها بالضبط؟

- حضرتك تختاري في حدود عشرة أشخاص مؤسِسِين، منهم واحد دا رئيس مجلس الأمناء وواحد يتولى أمانة الصندوق والبقية أعضاء، دا بالإضافة إلى ضرورة اختيار مكان مناسب يصلح لممارسة النشاط وإيداع مبلغ في البنك لا يقل عن مائة ألف جنية

- تاخذ وقتاً كبيراً؟

-على الأكثر أسبوعين

- طيب ممكن نبدأ الإجراءات بسرعة؟

- بس أنا مش محامي وما ليش صفة

- ما هو دا الموضوع اللي أنا عايزاك فيه

ملأت الدهشة وجهه وتحدث بصوت خفيض:

- موضوع إيه؟ ما أنا بسأل من بدري

- أنك تكون رئيس مجلس الأمناء

- رئيس مجلس الأمناء مرة واحدة؟!

- هوا أنت موش دايماً بتدافع عن قضايا المعاقين؟ أهي جتلك الفرصة في كيان رسمي انطلق، سكتت بُرهة ثم أردفت: مع إني على اقتناع من إنه ما يحسش بالنار إلا اللي ماسكها

- موش فاهم قصدك

- أي أن المعاقين هم أقدر الناس على الدفاع عن قضاياهم والتعبير عنها لأنهم أصحاب القضية

- لا.. اسمحيلي اختلف معاكي.. ممكن يكون هناك متطوعين أكثر حماساً من كثير من المعاقين المتخاذلين عن المطالبة بحقوقهم وآخر أمانيهم هو السخط على المجتمع والنظر للحياة من خلال نوافذ السوشيال ميديا

- موش بقولك إني معجبة جداً بكلامك وبطريقة إقناعك للآخرين! علشان كده وقع اختياري عليك

وفجأة أفاق من شروده على نفس الصوت يردد نفس العبارة يقول: عرفت منين إني مش سمر؟

- من ملمس إيديكي وكمان عرفتِ منين إني كنت هقع

- دي حالة من حالات المتلازمة لكل المكفوفين الشك في كل من حوله فالكفيف لا يثق بالأشخاص بسهولة

- بس رجاءً عدم رفع الغمامة من على عينيك حتى تحافظ على عهدك مع أستاذة سمر

- بس غريبة إني ماشي معاكي بقالي فترة وملاحظتش خالص فرق في الصوت وكمان أنت عارفة كل شيء حصل بيني وبين سمر.. أنتِ (مي) مديرة المنزل.. صح؟

- أيوه يا فندم..

- عرفتِي منين كل الأحاديث اللي دارت بيني أنا وسمر؟

- أنا كنت ملازماكوا بُناء على أوامرها ولم أفارقكم لحظة وزي ما حضرتك عارف إن النهاردة ثالث يوم والأخير في الاتفاق علشان تاخذ قرارك بصفة نهائية

- طبعا فاكر كانت أيام صعبة وأكثرها صعوبة أول يوم أثناء تناول الغذاء لما كسرت كل الأطباق والأكواب وبعثرت كل الأشياء يااه شعور صعب جداً، وبعدها علمتني أستاذة سمر ازاي أتعامل بطريقة صحيحة مع الأدوات واستخدام طريقة الساعة للتعرف على مواضع الاشياء فأصبح الأمر أسهل شوية

- ومتنساش حضرتك إنك كنت كثير الاصطدام بالأثاث والحوائط وكنت هتقع أكثر من مرة على السلم

- ما أنا عرفت بعد كده إن المكفوفين بيستخدموا الخرائط الذهنية للأماكن اللي بيعتادوها وبيعتمدوا على وصف الآخرين للأماكن الجديدة.. ممكن أسألك سؤال؟

- اتفضل يا فندم تحت أمرك

- أنا شايف إن الأستاذة سمر لوحدها وعمرها أصغر من إنها تمتلك هذه الثروة

- دي ليها حكاية غريبة.. دا تمن غربة أبوها وأمها سنين طويلة ولما كانت أستاذة سمر في الثانوية العامة ذهبت للمطار لاستقبال والديها وإذا بها يأتيها الخبر أن الطائرة انفجرت في السماء نتيجة عوامل جوية طارئة فعملت حادثة فقدت على أثرها البصر وبعد الحادث صرفت الشركة لها مبلغ تأمين كبير بالإضافة إلى الثروة التي كوَّنها والداها خلال الفترة الماضية وخاصة أنها وحيدة والديها وليس لها أية أقارب

- يعني ثروة بطعم الألم.. لذلك هي تنفق من ثروتها في العديد من أوجُه الخير لذلك فكرت في إنشاء مؤسسة أهلية لخدمة المعاقين.

نظرت اليه بريبة وقالت:

- ممكن سؤال أستاذ قاسم؟ هو مؤهلك إيه؟

- حَصَلت على دبلوم تجارة ثم أكملت بعدها كلية تجارة جامعة مفتوحة وأعاني حتى الآن من وجود فرصة عمل مناسبة تفتكري هيّ ليه طلَبَت مني الارتباط بهذه السرعة؟

- يجوز علشان معجبة بأفكارك المتحررة غير التقليدية وهي متابعة جيدة كل الحلقات اللي بتكون فيها، وتحدث نفسها،

(يمكن علشان سنها كبير شوية) وأنت قبلت بسرعة ليه؟ مع إن شرطها صعب جداً.

ردّ بسرعة بدون تردد:

- دي فرصة

- فرصة لإيه بالضبط؟

- فرصة علشان اختبر نفسي وأكون قدوة لكل من يُدافع عن قضايا المعاقين بأن يثبت للعالم أنه على اقتناع بالقضية

- ممكن ننهي الحوار دلوقتي وتدخل تستريح علشان هنروح المستشفى بكره بدري!

- واحنا دلوقتي بالليل ولاَّ بالنهار؟

- احنا دلوقتي وقت المغرب

أفاق على سرير المستشفى والشاش ملفوف حول عينيه وأثر البنج لم يكد يخرج بكامله ثم تمتَمَ بكلمات غير مفهومة، سمع خطوات تتهادى إلى سريره فتحدث بصوت خفيض متسائلاً:

- سمر؟

- لا أنا مي يا فندم

- أمال سمر فين؟

- خرجت من المستشفى حالاً وتركت لك رسالة معي

- اقرئيها بسرعة

- عزيزي الأستاذ قاسم:

عندما تقرأ خطابي هذا تكون قد أفقت من المخدر.. حمداً لله على سلامتك لن أنسى تلك الأيام القليلة الجميلة التي قضيناها معاً خاصةً إني أتمتع بشيء ثمين منك؛ لقد ألقيت عليك نظرة الوداع وتركت لك مع خطابي تنازلاً عن كل ثروتي.. والسلام.

لوحة إنسانية

بعد انتهاء الحصة الثالثة نَزَلَ الطلاب إلى فناء المدرسة برفقة معلميهم وبعد أن اصطفوا في صفوف منتظمة جلسوا جميعاً وبجوار كل منهم حقيبته استعداداً للانصراف بعد الحفل، سُمِحَ لأولياء الأمور بالدخول للمدرسة للمشاركة في فاعليات الحفل وفى وسط الفناء نصبت منصة ما بين ساري العلم والإذاعة المدرسية.
كان اليوم مشرقاً ويحمل النسيم رائحة الزهور ومما زاد الصورة بهاءً وجمالاً أشكال وألوان الزهور على امتداد النظر فقد أبدعت الطبيعة في رسمها، واكتملت الصورة بتغريد بعض البلابل والعصافير كسيمفونية تعزف من أبرع الموسيقيين.
تقدّمَ للمنصة رجل أنيق يرتدي بدلة وكرافت وبصحبته سيدتان إحداهما ترتدي حجاباً والأخرى ينسدل على كتفيها شعرها ذو الخصلات الحريرية فيُداعبه الهواء وتنعكس أشعة الشمس على لونه الكستنائي،
تقدم مدرِّس مُمسكاً بيده ميكرفون فرحّبَ بالجميع وتمنى لهم قضاء وقت ممتع في هذا الاحتفال، وقد بدأ الحفل بتلاوة بعض الآيات من

القرآن الكريم ثم تلاها كلمة مدير المدرسة ثم كلمة معلِّمة التربية الفنية التي قالت:

- اليوم هو عيدنا وهو يوم استثنائي نحتفل به بطريقة غير تقليدية بناءً على رغبة بعض الطلاب وموافقة إدارة المدرسة وذلك بعمل مسابقة فنية في الرسم، وأذكركم بشروط المسابقة وجوائزها؛

(ارسم أمك كما تراها في حياتك بطريقة تبرز عطاءها المستمر في حياتنا، وأكثر ما تتميز به عن بقية الأمهات وأسباب اختيارك لهذا الجانب من حياتك، والجائزة هي بوكيه من الورود من حديقة المدرسة يقدمه الفائز لأمه في الاحتفال تقديراً لجهودها وامتنانا بتضحيتها وقد تقدّم لهذه المسابقة عدد من الطلاب وتقوم لجنة التحكيم باختيار الفائز وسوف تعرض عليكم الأعمال للتعرف على إبداعات زملائكم وتعرض عليكم الأعمال بترتيب تقديمها لمعلِّمة التربية الفنية).

تقدَّمَت إحدى الطالبات نحو المنصة بعد أن نادوا على اسمها وأشير إليها بعرض اللوحة على زملائها، وقد رسَمَت غسالة حديثة بجانبها كومة كبيرة من الملابس؛ أثارت اللوحة بعض الضحك بين الصفوف قَطَعَ هذه الضحكات صوت رئيس لجنة التحكيم الذي قال:

- اشرحي لنا معنى هذه الصورة

أمسكت الطالبة بلوحتها وأشارت إلى تفاصيلها موضحة أسبابها:

- تقضي أمي معظم وقتها في الغسيل والنشر والكي وترتيب الملابس لذلك وجدت أن أفضل صورة تعبر عن عطائها المستمر هي تلك الصورة.

استلمت المعلِّمة العمل ثم أشارت إلى الطالبة بالجلوس، نظرَ أعضاء لجنة التحكيم كل منهم للآخر ثم كتَبَ كل منهم درجته في الورقة التي أمامه، ثم نادت المعلِّمة على الطالب الثاني فتقدّمَ طالب آخر للمنصة وهو يعرض عمله الفني أمام اللجنة والطلاب وإذا بها هي لوحة بديعة تم اختيار الألوان فيها بعناية شديدة حتى ظن الكثيرون أنها ليست من إبداعه، لقد كانت اللوحة تحمل صورة الشمس وقت الشروق بقرصها الذهبي وتحتها العديد من الأشجار بمقاسات مختلفة وبعض الحيوانات تلهو، امتزجت الألوان الأصفر بدرجاته مع الأخضر والبني في تناسق مبهر، ثم تكلم عن لوحته قائلاً:

- تلك هي أمي دائماً وأبداً تعطينا الدفء والحنان وبدونها لن تستقيم الحياة فالجميع ينعم بعطاءها.

ابتسم كل أعضاء اللجنة وبَدَت عليهم علامات الرضا والإعجاب حتى ظن كل الطلاب بأن تلك ستكون اللوحة الفائزة بالجائزة، تقدم ثالث للمنصة وعرَضَ لوحته التي لا تقل روعة وإبداعاً عن سابقتها حيث رسم بها سكرتيرة أنيقة ترتدي ثوباً عصرياً وأمامها كومبيوتر ومجموعة من الأدوات مرتبة ومنظمة بطريقه تثير الإعجاب، تعلو ثغرها ابتسامة رقيقة ومُعَلَّق على الحائط بالخلفية ساعة حائط، تحدّثَ عن أسباب اختياره فقال:

- إن أمي تنظم حياتنا وتديرها بدقة متناهية مواعيد الدروس والنادي وحتى مواعيد الأدوية فهي تبذل كل جهدها من أجل راحتنا.

نادت المعلِّمة على الطالب الأخير وإذا بحالة من الهمس والهمهمة بين صفوف الطلاب وحالة من الاستغراب والدهشة؛ فقد تعالت الأصوات:

- عبد الله؟! مش معقول! ازاي قدَّم في المسابقة؟ وازاي اتقبل عمله؟ ويا ترى راسم في لوحته إيه؟.

انتظر أولياء الأمور بعضاً من الوقت ريثما يتبينون من الذي سيتقدم للمنصة وإذا بطالب يأتي من آخر الصف يمشي بطريقة

غير متزنة بعض الشيء ويسير على مهل ويُمسِك بيديه لوحة مطوية، وصَلَ بعد معاناة للمنصة وسط علامات التعجب بين أولياء الأمور والطلاب بينما الكل ينتظر بشغف ثم فتح اللوحة التي يحملها بين يديه فإذا هي بيضاء للناظرين فأشارَ إليهِ المدير بأن اللوحة ربما تكون مقلوبة فأدارها للوجه الآخر فإذا بها بيضاء أيضاً فاكتست ملامح المدير بالغضب ثم هَمَسَ لمعلِّمة التربية الفنية قائلاً: أين العمل؟ فأشارت إليه بأن يسأله عن سبب رسمه للوحة بيضاء؛

قال المدير لعبد الله:

- ألا تعرف شروط المسابقة؟

أجاب بكلمات بطيئة وبتلعثم:

- ن ن ن نعم أ ليست أأأمي كا كا كما أراها؟!.. أأأنا لا أرى أمي إلا قا.. قا قليلاً.. فكيف أرسمها؟ إإإن لي أختاً اس اس اسمها دلال.. تذهب مع أمي في كل مكان.. أأأأما أنا... فإما في المدرسة الداخلي أو محبوساً في غرفتي بالمنزل.. وعندما يحضر الأهل والأصدقاء لزيارتنا.. تُغلِق عليَّ باب الغرفة بالمفتاح ح ح ح حتى لا يراني أحد وكأنني وصمة عار.. إن إعاقتي ليست بيدي.. إنها بيد الله وحده، ولقد خلقني على هذه الصورة لحكمة لا يعلمها إلا هو قد لا

تدركها عقولنا أأأنا لست مجنوناً.. ياااريت المدرسة تتدخل وتشرح لأمي ظروفي أأأأنا أكاد أمووووت من الوحدة.. أأأنا بحب المدرسة وبحب الإخصائية الاجتماعية والنفسية وبحب زملائي.. الإجازة بالنسبة لي جحييم.. أنا بنسى الكلام.. حتى أختي دلال أمي بتمنعها من التعامل معي خوفاً عليها مني.. أأأنا إنسان طبيعي.. صحيح أنا متأخر دراسياً.. بس دا موش بإيدي، ثم نظر إلى أعضاء لجنة التحكيم فأشهر لوحته بتحدٍ قائلاً:هذه هي أمي..

(ثم انهار في البكاء).

انتفضت الإخصائية الاجتماعية من على المنصة ثم هدأتهُ وأجلستهُ على كرسي بجوارها، هدأ عبد الله ثم وقف مرة أخرى ثم نظر إلى أولياء الأمور قائلاً:

- ي .. يعني ايه كلمة (أأأم)؟ يعني تطبطب.. يعني تُضُم.. ربنا أكرمها وقدَّرها ووضع الجنة تحت أقدامها.. يا ريت كل االأمهات تعرف النعمة اللي ربنا أنعم عليها بيها.

سادَ الصمت لبعض الوقت لم يتجاوز الخمس دقائق في مشاورات بين أعضاء لجنة التحكيم ثم أمسك المدير الميكرفون فشَكَرَ كل الطلاب على إبداعاتهم ثم أعلن النتيجة قائلاً:

- أجمعت لجنة التحكيم على منح الجائزة للطالب عبد الله وقررت استدعاء والدته لإرشادها ومساعدتها للتعامل معه.

تقدم عبد الله لاستلام الجائزة فسألهُ المدير: لمن تهدي هذا البوكيه من الأزهار؟ فأجاب عبد الله قائلاً:

- أهدي منه وردة للأم الغسالة وأخرى للأم السكرتيرة وثالثة للأم الشمس، فكل الأمهات تعمل كل ذلك وأكثر والدور الأعظم لهُن هو تربية أولادهن ثم اسمحوا لي أن أحتفظ بوردة لأمي وأرجو أن تبلغوها أن تأتي بسرعة قبل أن تذبل تلك الوردة.

وفاة

دخَلَ إلى سرادق العزاء فوجد صديقه منهاراً لا يكاد يتمالك أعصابه من هول الصدمة، الدموع تذرف من عينيه كالمطر المنهمر بعد أن أصبحت مثل كأسين من الدم تغيرت ملامح وجهه ثم اكتست بالسواد وقلبه يعتصر من الألم الذي لا يشعر به غيره، اقترب منه مُحدثاً إياه هامساً:

- هوّن عليك يا دكتور

- المُصاب جلل والخطب عظيم.. الشمس غابت ولن يطلع القمر بعد الآن يا ليتني لم أعش لهذا اليوم

- كل المصائب تبدأ كبيرة ثم تصغر وتتلاشى إلّا مصيبتي هيّ عشرة يوم! دي أربعون عاماً لم تفارقني لحظة

- أنا مقدِّر ما أنت فيه لطالما حدثتني عنها طوال فترة صداقتنا التي دامت أكثر من عشرين عاماً بكلية الآداب وأعرف مدى ارتباطك بها لقد كان زواجاً كاثوليكيا

- ذكريات معها لا تُعَدّ ولا تُحصَى فطالما دافعت عني في الصغر، حينما كنت معها كنتُ دائماً أشعر بالقوة والأمان لقد كانت خير معين لي على عثرات الطريق والزمان.. يااااااه..

(ثم انهمر في البكاء)

في هذه اللحظة حان لصديقه أن يسترق السمع لأحاديث الحضور داخل الخيمة من باب الفضول فوجد كل اثنين يتهامسان، عانى معاناة شديدة حتى يستطيع أن يفسِّر ما يقولون ثم نظر في الوجوه فكانت ما بين مشفق ومجامل وحزين ومتعجب، ثم استطاع بعد جهد أن يسمع اثنين يتمتمان ببعض الكلمات:

- يا عيني عليك يا دكتور أنا خايف عليه من الصدمة ممكن ضغطه يرتفع أو تجيله جلطة

- يا عم سيبك من الكلام ده لولا أن الدكتور ليه خاطر عندي ما كنتش تعبت نفسي وجيت

- أنت عارف إن الدكتور مجامل جداً ولا يترك أية مناسبة عزاء أو فرح.. دا حتى أعياد الميلاد لا ينساها

- عارف يا سيدي وخاصة علاقته بطلابه قوية جداً فهو يمتلك كاريزما مميزة وخاصة بعد أن ترقى إلى درجة وكيل الكلية

للدراسات العليا والتسهيلات التي يقدمها للدارسين من مراجع واستشارات.... إلخ، بس أرجع وأقولك الموضوع مبالغ فيه جداً فيه حد يعمل كدا في الدنيا؟ مقرئ وفراشة وإضاءة وبوفيه؟ صدق اللي قال (الجنازة حارة والميت كلب)

- عيب عليك يا أخي التشبيه القاسي دا وأنت عارف مدى ارتباط الدكتور بيها وإنها ملازماه من سنين طويلة وإنه رفض كثيراً التخلي عنها رغم نصح الكثير من الأصدقاء

- والله دي مسرحية هزلية.. دا أنا جاي علشان أشوف انطباعات الناس عنها.

أدار رأسه في الاتجاه الآخر محاولاً الاستماع إلى آخرين وقبل أن تصل إلى أذنيه كلمات الآخرين إذا بحالة من الذعر والهلع تعلُو سرادق العزاء:

- لا حول الله يا رب الدكتور أغمى عليه ويلتف حوله عدد كبير من المعزين يصيح فيهم الصديق بصوت عالٍ:

- من فضلكم يا جماعة ابعدوا شوية عشان الهواء يدخل

وحاول أن ينعشه ولكن النبض ضعيف وحركات التنفس سريعة.. سمع صوتاً يهتف:

- اطلبوا الإسعاف.. الدكتور هيروح مننا

رد الصديق بصوت لا يخلو من الحزن يا جماعة حد معاه كولونيا أو برفان؟

جاءه صوت من الخلف:

- معايا منديل معطر ينفع؟

أجاب الصديق على الفور:

- هاته بسرعة.. ثم اخذ المنديل وقرّبَهُ من أنف الدكتور.. حاول جاهداً تدليك صدره دون رد فعل وبعد دقائق أفاق الدكتور ثم فتح عينيه بصعوبة جداً ثم تمتم بكلمات غير مفهومة.. حاول صديقه فهم ما يقول ولكنه فشل.. ثم حاول جاهداً أن يحدثه:

- دكتور! سمعَهُ يتحدث بكلمات هامسة:

- لن أتخلى عنكِ يا رفيقة عمري وسندي وظهري.. حياتي ظلام بدونك.. كنتِ بصري الذي فقدته ومرشدي ودليلي.. حبيبتي كنتِ معي على الحلوة والمرة سرنا معاً مشوار حياتي، كم من مرة أرشدتني إلى الطريق السليم. ثم بدأت كلماته وأنفاسه تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى دخل في إغماءة أخرى ولكنها أعمق فشلت معها كل المحاولات في إعادته للوعي.

سمع الصديق أصواتاً تتعالى يا ناس حد يستعجل الإسعاف..

تأثر الصديق بالحالة ثم دخل في حالة من البكاء والحزن على صديقه وظلّ يُدَّلِك له صدره ويمسح له عرقه ويشممه المنديل المعطَّر مرّات ومرّات حتى بدأ الدكتور يتحرك ويستجيب للتدليك فطلب من صديقه إلقاء نظرة أخيرة عليها، فردّ عليه الصديق:

- هنا يا دكتور؟.. بلاش لو سمحت.. حاول أن تتمالك أعصابك

وبعد إصرار وتحت إلحاحه المتكرر وإشفاق الصديق عليه غاب الصديق بعض الوقت ثم أتى إليه وهو يحملها بين يديه، نَظَرَ الدكتور إليها نظرة قليل الحيلة الذى لا يستطيع أن يفعل لها شيئاً فكل شيء قد انتهى، طَلَبَ من صديقه أن يحضنها فأخذها منه ثم وضعها في أحضانه ثم بكى بمرارة وحسرة والناس تنظر إلى ذلك المشهد وتكاد تنفجر من البكاء وآخرون ينظرون من الذهول وفريق ثالث من السخرية وفي هذه الأثناء تم سماع صوت سرينة الإسعاف والأضواء الزرقاء والحمراء على جانبيها وفوقها قادمة إلى السرادق فتكاتف الناس لحمل الدكتور، ثم حاولوا جاهدين نزعها من يديه دون جدوى وتم حمله على سرير الإسعاف..

نظَرَ المُسعِف إليهم وقال في أسى:

- البقاء لله.. الدكتور فارق الحياة أرجوكم حاولوا نزع تلك العصا من بين يديه.

أعمى دوت نت

قرر الطبيب أن الولادة ستكون قيصرية وأن الجنين هو أصغر من حجمه الطبيعي وكيس المُخ قد ثقب، وأن الماء حول الجنين قد قارب على الجفاف فلابد من إجراء العملية الآن. طلب منه الطبيب مبلغاً من المال استطاع أن يدبره بالكاد، ترجَّى منه أن يحضر معه عملية الولادة ولكن الطبيب اعتذر في أدب، ولكن لظروف إعاقته؛ فقد سمح له بالجلوس بجوار غرفة العمليات في أقرب نقطة للخط الأحمر الذى لا يتخطاه سوى طاقم التمريض والأطباء.. جلس القرفصاء شرد بذهنه، لكن رائحه الدم وأنّات المرضى جعلت شعورا عميقا بالاشمئزاز يرتسم على وجهه النحيل، تذكر كيف تم زواجه بعد تخرجه في كلية الآداب قسم علم نفس.. بحث طويلاً عن فرصة عمل مناسبة دون جدوى، بمساعدة أسرته وبعض أهل الخير استطاع أن يتزوج ويكون أسرة بعد أن تقدم به السن.. عاش في بيت متواضع لبعض الوقت ثم انتقل بعد عدة أعوام من الزواج لبيت أكبر، ولكن طموحه وأحلامه لم يسعها ذلك العالم باتساعه، سَرَحَ بخياله وتذكر ليلة زفافه وكيف أنها لم تكن مفاجأة له؛ حيث

إنه كان له العديد من العلاقات قبل الزواج.. لم يعلق بذاكرته الكثير منها أكثر مما علقت به أول علاقة جنسية في حياته عندما كان في سن الثامنة عشرة؛ كانت له جارة في الثانية والثلاثين كانت بحكم الجيرة والإنسانية تساعده في المذاكرة فتطورت العلاقة بينهما شيئاً فشيئاً وفي أحد اللقاءات شَكَت له من حرمانها، وبأن زوجها كان كثير السفر والحرص على جمع المال، فعادة ما كان يعود إليها كل سنتين ليقضي أسبوعين ثم يعاود السفر مرة أخرى، وهذا من أهم الأسباب لعدم الإنجاب حتى الآن وتطرق الحديث عن علاقتهم الزوجية.

سمع كلامها ثم شرد بذهنه لخيالات في عوالم أخرى وأخيراً اتخذ قراراً بأن يمسك بزمام المبادرة ولسان حاله يقول (ضربوا الأعمى على عينه قال خسرانة خسرانة) مدّ يده بطريقة تبدو عفوية تعوّد عليها وقام بلمس ثديها، أوّل مرة لم تفت عليها فهي خبيرة ومُحنّكة.. تجاوزت تلك المرة متربصة بغلطة أخرى، ثم كررها مرةً أخرى فإذا بها تلطمه على خده بصفعة قوية هزت أرجاء المكان تلاها فترة من الصمت لم يدم طويلاً قطعَهُ صوت السيدة قائلة:

- إيه اللي بتعمله دا يا حيوان؟

- آسف مدام هناء.. أنا ما اقصدش..

(وانهمر بالبكاء.. كان يرتجف ولا يعلم أي رد فعل وأي عقاب سينالـه)

- فعلاً أنا غلطانة اللي بحبحت مع عيل زبالة زيك

- والله ما كنش قصدي أنا بمد إيدي لقدام خبطت فيكِ غصب عني آسف.. آسف.

- يا سلام! وهوّه اللي بيمد إيده بيمسك صدر اللي قدامه؟ دا إنت شورتك سودة دا.. أنا هفضحك وأخلِّي أبوك يطردك من البيت.. هو دا جزائي؟

- طيب أنا تحت أمرك أؤمريني بأي حاجة.. وأنا هبقى خدامك.

وقعت الكلمة على أذنها كأجمل نغمة يمكن أن يستمتع بها إنسان، فقد أثارت في نفسها خيالات طالما تمنّت أن تفعلها وأردَفَت:

- إنت فعلاً من دلوقتي خدامي واللي هقولك عليه هتسمعه وإلّا.. ثم اقتربت منه وربتت على كتفه، ثم اقتربت أكثر واحتضنته، لم يفوت هو هذه الفرصة فاحتضنها بقوة وعصرَهَا بين يديه. استمر الوضع بضع دقائق ثم نزعت نفسها منه عنوة ولطمته مرّةً أخرى.

أفاق على دوي اللطمة وصاح بصوت عالٍ:

- فيه إيه يا مدام هناء؟

- لا وما تقوليش يا مدام.. قولِّي يا ستي.. هو إنت مش خدامي؟

- ماشي يا ستي.. إنتِ عاوزه إيه دلوقتي؟

- بقولك.. هو إنت بتدخن؟

- أيوه.. بتسألي ليه؟

- هجيب سيجارتين نشربهم سوا.. ثم أشعلت السيجارة الأولى وتصنّعَت أنها تحاول إعطاءه فلسعته بالنار عدة مرّات. ما تمسك بقى السيجارة كويس يا وله.. ونفثت الدخان في وجهه.

- هو مين اللي بيشوف بالظبط؟

- أنا بصراحة.. مش مآمنلك.. علشان كده أنا هجيب كلابشات جوزي كان جايبهم في آخر زيارة وهربطك بيهم علشان حركاتك القرعة.

لم يُمحَ من ذاكرته أبداً كيف تلاعبت به تلك السيدة واستعملته بكل ما تحمل الكلمة من معنى حيث إنها كانت تستمتع بأنها تقود العملية الجنسية بطريقتها، فهي من يحدد متى وأين وكيف تبدأ أو تنتهي. كان مجرد أداة في يدها فعلا معاً كل شيء لم يكن يتصوره،

تذكّر في ليلة دخلته أنه كان مسحوراً مربوطاً فلم يفعل شيئاً في تلك الليلة أو الليلة التي تليها حتى ذهب إلى أحد المشايخ وفك الربط ومارس حياته الطبيعية.

سارت حياته على وتيرة واحدة وعالمه السري لا يعلمه إلا هو؟ أطلَّت عليه إحدى الممرضات وهمسَت بصوت لزميلاتها: باين عليه القلق الظاهر إنه بيحبها، أحيت تلك الكلمات ذكريات في نفسه لطالما حاول أن ينساها، ذات يوم وهو بدار المكفوفين التقى بها أثناء تأديتها الخدمة العامة.. عرفها من أول لحظة من رائحة برفانها الخاص (برفان جلامور) فهو عطر مميز مستخلص من زهر البرتقال مخلوط بالمسك الأسود فقد صادف أن شمّهُ كثيراً أثناء الدراسة بكلية الآداب من إحدى المعيدات التي كانت محل إعجاب وحديث كل الكلية والعاملين بالجامعة، دخلت عليه وعرفته بنفسها :

- (أحلام) خدمة عامة
- (نزيه) ليسانس آداب.. قسم علم نفس وتمهيدي ماجستير
- رسالة الماجستير عن إيه؟
- أنماط الشخصية والسلوك البشري

- تحب نبدأ القراءة إمتى؟.. على فكرة أنا سمعت عنك كلام جميل ورائع ولينا مع بعض كلام كتير ازاي إنت بتعرف تعمل كل الحاجات دي وتعلمت الكمبيوتر فين وازاي؟ وبتعرف تصلحه كمان؟ عذراً دا صعب على المبصرين

- الإرادة والعزيمة تجعل أي شيء ممكن، وأنا عندي هدف إني أكون متميزاً في مجال التكنولوجيا والمهارات اليدوية اللي احنا محرومين منها.. وحبيت أثبت للعالم إننا قادرون باختلاف

- لما قريت وسمعت عنك أعجبت بيك وبأعمالك.. ودلوقتي أنا مبهورة جداً وسعيدة لإن لديك نظرة فلسفية للحياة وإني هقضي معاك سنة الخدمة العامة.. هو أنت ليه اخترت قسم علم النفس؟

- والله هو اللي اختارني.. أنا كنت عاوز أدخل قسم تاني ولكن كثير من الأقسام محرمة على المكفوفين زي الجغرافيا والاجتماع وأي مجال يدخل فيه شيء عملي.

ظلّ الحوار بينهما أكثر من ساعتين حيث اتّسم بالجدية تارة وتارة أخرى كان خفيف الظل لا يخلو من الفكاهة، تطوّرت العلاقة بينهما شيئاً فشيئاً وتبادلا الهدايا على الرغم من أن الهدايا بالنسبة إليه كانت تمثل عبئاً مادياً مهما كانت بسيطة.

تبادلا الحوار معاً في أوقات مختلفة من اليوم عن طريق الهاتف، وبات اليوم الذى تغيب فيه أحلام عن الدار بمثابة يوم مُظلِم وقاسٍ وصار يلتمس رائحة البرفان في كل مكان لعله يجد ذكراها حتى يلقاها.

انتظم نزيه في الحضور إلى الدار على غير العادة وتطورت العلاقة بسرعة كبيرة جداً، وذات يوم قرّر أن يبوح لها بمشاعره وأحاسيسه، وانتظر أول يوم يلتقيا فيه. جلس في معمل الكمبيوتر المكان المفضل لديه داخل الدار وإذا هو جالس في انتظارها مرتدياً أبهى ثيابه متعطراً على غير العادة، فلمّا هبّت رائحة البرفان وفاحت في المكان دخلت إليه أحلام الى حيث يجلس بعد إلقاء التحية ومغازلتها إياه:

- إيه الشياكة دي يا عم هو أنت ناوي تتجوز؟

أومأ برأسه وهو منتشٍ تهلل وجهه فرحا كأنها وفّرَت عليه قطع مسافة كبيرة وقال لها وهو في منتهى السعادة:

- على فكرة العروسة إنتِ تعرفيها كويس

- تقصد إن العروسة واحدة من اللي معانا في الدار؟

بدت عليه علامات الغضب تغيرت ملامحه وعقد حاجبيه فتداركت بسرعة:

- يا عم متزعلش أنت تستاهل أحسن واحدة في الدنيا مين بقى العروسة يا عريس؟

- رد بسرعه أنتِ

ساد المكان صمت مميت ومرت الدقائق كالدهر فالكلمات التالية سوف تحدد مصير ومشاعر كليهما، ولمّا أتى الكلام كالسيف البتار؛ (بدت عليها علامات الحيرة) قالت:

- أنا عمري ما فكرت فيك.. أنا كنت فاكرة العلاقة اللي بينا صداقة.. أنا مش ممكن أربط حياتي بأعمى أناااااااا آسفة..

كلمتان فقط نطق بهما قبل أن يخرج من المكان

- حرمااااان تاني؟

عاد للدار بعد أن عرف أنها قد أنهت علاقتها بالدار وأخذت الإفادة بقضاء سنة التكليف بالخدمة العامة. ولمّا رجع إلى المكان المفضل معمل الكمبيوتر كأنه شم نفس الرائحة قام على الفور بتحسس الحوائط حتى وصل إلى الشبابيك وقام بفتحها جميعاً حتى

تخرج بقايا الأحلام بلا عودة.. استنشق الهواء العابر من النافذة كأنه يريد أن ينظف رئتيه من دخانٍ خانق.

استراح على الكرسي أمام الكمبيوتر ممارساً هوايته المفضلة العادة السرية عن طريق سماع الأصوات دون علم الآخرين، سمع صوتاً لا يعلم مصدره يستنكر وجوده وحيدا في ظروفِهِ الحرجة، تحسّرَ على نفسه وعقد حاجبيه لامعة عيناه وتناثرت بعض الدموع على خده، مسحها في كبرياء وصلابة يُحسد عليها ،وتذّكَر علاقاته بأقرانه في دار المكفوفين كانت جيدة، وكثيراً ما استخدم التكنولوجيا وتفوّقِهِ فيها في تسجيل مكالمات أحاديث أصدقائه حتى المقربين منهم، واستخدم مهارته في وضع برامج للتجسس على هواتف كل من طلب منه المساعدة من المكفوفين أو المعافين.

زادت عنده شهوة الغوص في أسرار الآخر وبدأ يستخدم هذه الأسرار في ابتزاز أقرانه من المكفوفين، ففريق كان يأخذ منهم أموالاً بحجة السلف وبالطبع لا يردها ولا يجرؤ أحد على طلبها فالداخل مفقود، وآخرون كان يبتزهم جنسياً إمَا باللمس أو

الاستمتاع بمكالمات ملتهبة تبرد نار شهوته التي كانت تشتعل أكثر فأكثر حتى صارت بلا حدود.

علاقته بكل من في الدار غريبة ومثيرة ممزوجة بالحب والكراهية معاً، بالإعجاب والاشمئزاز في نفس الوقت، في حين لا يجرؤ أحد على البوح حتى بينه وبين نفسه عن تلك المشاعر والأغرب أنه لم يمتنع أحد عن إعطائه الموبايل الخاص به أو الكمبيوتر على العلم مما يضعه من برامج تجسس، ربما لسان حال أحدهم يقول: ماذا سيعرف أكثر مما عرف أو لم يعد في صندوق حياتي الأسود ما أخفيه عنه. ساعَدَهُ ارتباطه بدار المكفوفين في ممارسة العديد من الأنشطة والهوايات مثل لعب الشطرنج والدومينو وكذلك كل الألعاب الإلكترونية على الموبايل والكمبيوتر، أخذَ العديد من الدورات في الهارد وير مكونات الحاسب الآلي بالإضافة إلى دورات السوفت وير أنظمة التشغيل والبرامج مما أثار إعجاب المحيطين به فكان مادة دسمة لجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فقد كان نموذجاً يحتذى. استثمر علاقاته بكل المحيطين به سواء معجب أو مشفق عليه. دخل معظم غرف الدردشة في كل المجالات ونهل من كل العلوم وانبهر كثيراً بسماع

الروايات والكتب المسموعة. انضم إلى كتيبة الدراسات العليا وأعَدَّ رسالة ماجستير عن السلوك البشري وأنماط الشخصية أبهرت حتى أساتذة المناقشة والحكم.

عدم ارتباطه بأعباء الحياة المعتادة جعلته موسوعة في كثير من الأشياء، وارتبط جداً بالعالم الافتراضي كوَّن خلالها صداقات وعلاقات حميمية وأخرى مشبوهة، عادة ما كان حديثه يتسم بالفكاهة والجنس معاً، كان دائماً ما يُحسِن اختيار ضحاياه وأصدقائه فكثيراً ما كان يمارس العادة السرية أثناء مكالمات التليفون أو باستخدام الكمبيوتر، لقد أدمَنَ العلاقات المشبوهة، بل كان يتلذذ بتعذيب نفسه والآخرين، وبعد الانتهاء دخل إلى غرف الدردشة الخاصة بالجنس وسمع اثنان يتحدثان عن قنوات السوشيال ميديا وما تجلبه من أرباح نتيجة عدد المشاهدات، فقفز إلى ذهنه بيع المكالمات السرية وعلى الفور أنشأ قناة له وأسماها

(أعمى دوت نت) وبدأ ينشر فيها كل أفكاره وخبراته، ولكنه فشل بجدارة نظراً لحجب اليوتيوب للألفاظ الخارجة فقرَرَ أن يبيع تلك المكالمات الملتهبة السرية بطريق غير مشروع، وبالفعل حصَلَ على أول حفنة من الدولارات وبعض السنتات، ابتهج كثيراً وزاده

الأمر حماسة تطور الأمر شيئاً فشيئاً وكلما زاد حصوله على المال زادت جرأته وجمَدَ قلبهُ فقرّرَ أن ينتقل إلى مرحلة جديدة وهى استغلال بعض الأسرار التي يمتلكها في إجبار بعض الفتيات الكفيفات على ممارسة الجنس عبر غرف الدردشة المرئية وبالطبع بمقابل مادي له وحده أو قد يتقاسمه مع بعضهن إن أبدين تمنعاً، وعلى النقيض تماماً رفضت الكثيرات منهن حتى لو تم فضح أسرارها.

أرادَ أن يستزيد من الغموض والدخول في عالم المجهول فبدأ يقرأ ويتتبع المحاضرات والمؤتمرات عن عالم الهاكر واختراق المواقع ومتصفح الديب ويب والدارك ويب، وفى أحد المؤتمرات وهو جالس بالصف الأول كعادته فوجئ بأن أحد الموجودين على المنصة يذكره وأن الجميع يصفق له لحرصه على المعرفة وبعد انتهاء المؤتمر تقدم أحدهم ثم عرّفَهُ بنفسه:

- دكتور هاني أمين عام المؤتمر أهلا بيك
- نزيه ماجستير في الآداب
- وإيه علاقة الآداب بالكمبيوتر؟
- علاقة قديمة من أيام الثانوية العامة

- وليه أنت مهتم بمتصفحات الديب ويب؟

- علشان لديّ أشياء ثمينة وأحب استثمرها..

سكت الاثنان بعض الوقت وكأنّ كلٌ منهم وجد ضالته ثم بادره دكتور هاني قائلاً:

- هل لي أن أعرفها؟

- مش وقته يا دكتور

- طيب ممكن تليفونك، ونحدد موعد مقابلة ثان.

وبعد عدة أيام تقابل الاثنان في دار المكفوفين بمعمل الكمبيوتر:

- ليه معمل الكمبيوتر بالذات؟

- علشان دا اللي فيه الكنز؟

- هنا في الدار؟.... إيه آثار مثلاً؟

ضحك نزيه بصوت عالٍ:

إيه اللي بتقوله دا يا دكتور؟

- طيب مبدئياً أحب أعرفك بأن الدخول للديب ويب ليس بالسهولة اللي أنت أو غيرك متصورينها، وكذلك مخاطرها كبيرة جداً فلابد أن يكون لك عَرَّاب

- يعنى إيه عَرّاب؟

- يعنى زي الكفيل في بعض الدول العربية

- مبدئياً قبل الكلام في أي شيء سوف نتعامل عن طريق التليجرام فقط

- فاهم طبعاً يا دكتور علشان صعوبة اختراقه

- لا وكمان علشان الرسايل اللي هبعتها سوف أحذفها بعد عشر دقائق وزي ما أنت عارف بتتحذف من عند الطرفين ولا يمكن استعادتها.. طيب وريني يا سيدي الكنز.

ظلّا بمعمل الكمبيوتر ما يقرب من خمس ساعات وانتهى اللقاء وقد تمّ الاتفاق على كل التفاصيل..

دخل نزيه إلى عالم الديب ويب وبدأ في شراء العملات المشفرة البيتكوين، دخل غرف القمار وخسر كثيراً وربِحَ أكثر، زادت ثروته بطريقة سريعة جداً وأصبح يُعَدّ من أصحاب الثروات الافتراضية، أصبحت شهوة الجنس تسابق شهوة المال وأصبح من أكبر القوادين على الإنترنت وسَهّلَ ذلك انضمامه إلى مجموعة عبر الدول سهّلَت عليه الكثير من العمليات وأعطته الكثير من الخبرات في هذا المجال. بعد حوالى نصف ساعة سمع صوت الطفل بعد ولادته لم تسَع الدنيا فرحته بذلك الطفل، أطَلّت عليه

إحدى الممرضات (مبروووك جالك ولد) وبعد حوالي ساعة خرج الطبيب بعد أن خلع ملابس العمليات وقال له:

(مبروووك الأم بحالة جيدة) ولكن الجنين ناقص الوزن وعنده صفراء ويحتاج حضّانة لمدة أسبوعين:

- الحَضّانة بكام في اليوم يا دكتور؟

- بحوالي خمسمائة جنيه بس ياريت نلاقي واحدة فاضية الموضوع مش بالسهولة دي، ياريت تِدَبَّر فلوسها وإن شاء الله هنلاقي واحدة في أي مستشفى خاص ذهب نزيه إلى بعض الأصدقاء لاقتراض المبلغ ولكن الجميع تخلَّى عنه. دارَ في داخله صراع بين عاطفة الأبوة الجديدة عليه والعقلية الإجرامية التي يمارسها أكثر من عشرة أعوام، هل أفضح أمري واستعمل الثروة الكبيرة التي أملكها أم أضحي بابني؟

إن حوّلت المال فأنا بين أمرين إمّا أن يفتضح أمري مع من يذهب معي للبنك وذلك لأنه لابد للكفيف عند التعامل مع البنوك من معين، والأمر الآخر قانون من أين لك هذا؟ وبعد صراع مرير وتمزيق بالداخل انتصرت العقلية الإجرامية فقرَرَ أن يذهب للعَرّاب لاقتراض المال وهنا كانت المفاجأة تخلَّى عنه العرّاب أيضاً فعادَ

للمستشفى يجر أذيال الخيبة وإذا بالخبر يسقط عليه كالجبل بأن مولوده قد توفى والأم حالتها النفسية سيئة لدرجة أنها حملته مسؤولية موت ابنهما بل طرَدته من حجرة المستشفى. اسودَّت الدنيا في عينيه وأظلمت أكثر مما هي وأحسَّ بالعجز والعمى فقفزت لذهنه فكرة بأن يذهب لدار المكفوفين ويأخذ نسخة من الملفات والمحادثات بينه وبين الدكتور ليؤمِّن نفسه ويفضحه في الوقت المناسب.

كانت الصدمة الكبيرة عندما وجد أن الدكتور سبقه وهكَّر الجهاز وحذف ما به من ملفات وكذلك الموبايل لم يكن أمامه سوى الذهاب لقسم الشرطة فخرج على الفور، وقف على الطريق ليستقل سيارة أجرة وإذا بسيارة مسرعة تصدمه ثم فرت هاربة وما هي إلا لحظات حتى فارق الحياة وقيد الحادث ضد مجهول.

السر

هبَطَت إحدى الطائرات الحربية في القاعدة الجوية في طرف المدينة حيث الطرق الغير مُمَّهَدَة والأسلاك الشائكة تحوط المكان كقنفد يحمي نفسه بالأشواك، عدد كبير من الحراس ينادون بعضهم بين الحين والآخر بكلمات للمرور والعديد من الاحتياطات الأمنية بعض المدرعات ذات الأحجام المتفاوتة بين الخفيفة والمتوسطة.

نَزَلَا من الطائرة رجلان يرتديان زيا مدنيا بدلة غاية في الأناقة ورابطة عنق وحذاء لا يستطيع أن يجابه الظروف الصحراوية، بيد كل منهما بعض الأجهزة الحديثة للرصد ولاب توب وموبايل يبدو عليه أنه ذو إمكانيات خاصة.

كان في انتظارهما عدد من العسكريين يبدو عليهم من القادة، قابلوهم بكثير من الترحاب وقليلا من البرتوكولات العسكرية، بعد حديث لم يدُم طويلاً ودعاهما عند باب السيارة الفارهة والمُجَّهزة ببعض أجهزه اللاسلكي ولها زجاج معتم، نظرا حولهما قبيل الانصراف ليرصدوا حال المطار لم يخلو مكان من حطام

الطائرات وأخرى داخل حظائرها تخشى الخروج حتى لا تلقى نفس المصير وكأنها تأبى التقدم كفيل أبرهة.

غادرا المطار العسكري في رحلة استكشافية مستخدمين أحدث أجهزة الكشف والرصد بالإضافة لأجهزة تحديد لمواقع والكشف عن الأسلحة المحظورة دولياً، قصدا المكان الأول حسب ما هو مخطط لهما ووجهتهم الأولى هي مدينة الانتاج الإعلامي ليتمكنا من الحصول على معلومات تيسر لهم الرحلة.

وصلا المدينة بعد حوالى ساعتين من العناء في طرق مهجورة من السكان والأسفلت معا، تكافح فيها بعض الزواحف من أجل الحصول على قوت يومها والاختباء من القصف اليومي التي قد تكون إحدى ضحاياه، وجدا الدمار قد طال كل شيء بداية من السور الذي كانت تزينه الصور البانورامية والبوابات ذات الديكورات الأنيقة والارتفاعات الشاهقة مما يضفي على المكان الهيبة والإبهار، دخلا دون عناء من مكان إحدى البوابات التي كان المرور منها حلما لكل الإعلاميين والضيوف.

انطلقا بالسيارة حتى وجدا تجمعا من الأشخاص تبدو عليهم ملامح الحزن والأسى كأن على رؤوسهم الطير، نَزَلا من السيارة وقدما لهم التحية وعرفاهما بنفسيهما، أنهما من لجنه حقوق الانسان بالأمم المتحدة وهما بصدد كتابة تقرير عن جرائم الحرب التي ارتكبتها الدولة المُعَادِية، بادر أحدهم ببعض الأسئلة ولكنهما لم يتلقيا ردا فكررا نفس الكلام فقاطعهما أحدهم بإشارة تعني أنهم لم يسمعوا ولا كلمة لأنهم أصبحوا صُمّاً وبُكماً، عانى الفريق لمحاولة التواصل معهم ولكن أنقذ الأمر أن أخرج أحد المعاقين ورقتان أعطى إحداهما للفريق وأبقى الأخرى بيده كتب فيها، بعد أن ألقت الدولة المعادية قنبلة على المدينة حدث شيء غريب أصدَرَت صوتاً عالياً وذبذبات بتردُدَات مختلفة أصابتنا جميعاً بالصمم تم تلاها قنبلة أخرى لم نستطع أن نتكلم بعدها والعجيب أن كل العاملين المساعدين والضيوف لم يصبهم ما أصاب الإعلاميين والصحفيين كأن القنابل صُنعت خصيصا لنا والأهمّ في الأمر أن من منّا يريد الخروج من المدينة لأى سبب يُصعق على الأسوار ويُصاب بحالات تشنُّج لا نعرف سببها

أرجو أن تبحثوا الأمر وتُوصِّلوا رسالتنا للعالم.

سحب ورقة أخرى كُتب فيها كنّا لسان الأمة والآن خرِسنا وأصابنا الصمم حتى لا نسمع أحد أو نعبّر عن أحد، الرجاء زيارة باقية الأماكن وإبلاغ منظمة الصحة العالمية لمعالجة الوباء، أخذ الورقة بعد أن ودّعُوهم ووعدوهم بسرعة التدخل لحل المشكلة.

انطلقا حتى وصلا مدينة الرياضيين لم يجدا صعوبة في الوصول إليها عن طريق الأجهزة المساعدة بالسيارة، لم يختلف الأمر كثيراً عن سابقه فالمدينة مُهدمة والمباني الرياضية تشكو حملها الثقيل من أكوام التراب وكُتَل الخرسانة، حمامات السباحة بها كل ما يسبح على بطنه، جَفَّت كل النجيلة واختفت معالم المدينة حتى العلامات الإرشادية مُسَّطحة على الأرض اختفت كل حروفها وألوانها، صادَفَهُم رجل مبتور الرجلين يركب كرسياً متحركاً وعلى مرمى البصر بعض الناس إمّا يستند إلى عكاز أو يستخدم كرسياً متحركاً، سأله أحدهم عن سبب ذلك؟ بعد أن عرّفَا له نفسيهما ولِمَ كل الإعاقات حركية؟ فأجاب كُنتُ بطلاً عالمياً في رياضة العَدْو، قبل تلك الحرب اللعينة وأثناء الاستعداد لبطولة العالم لألعاب القوى ألقيت علينا عدة قنابل أصيب جميع الرياضيين بإعاقات حركية أو

ضُمُور بالعضلات، الغريب أنهُ من يحاول الخروج من المدينة يُصعَق عند الأسوار ويُصاب بحالة صرع لا نعرف أسبابها.

كتبا كل الملاحظات وعلامات الحيرة تزداد أكثر وأكثر والأسئلة تكتظ بعقولهم والإجابات حائرة وخبرتهم أعوام كثيرة بالأمم المتحدة لم تُغنِهِم من هذا المجهول؟ كانت وجهتهم الثالثة إلى مدينة الفلك والتنجيم نظر كلاهما للآخر نظرات يملؤها الخوف ثم توجه نظرهم إلى عدّاد السيارة الذي قارب على الفراغ ماذا يفعلان وكل البُنَى التحتية هُدمت وتَمّ تدمير محطات الوقود وماذا سيفعلان عند نفاذ كامل خزان البنزين وخاصة أن العربة مجهزة وتيسر عليهم الكثير فجميع خطوط المحمول مُدَمّرة ولا توجد وسيلة اتصال سوى القمر الصناعي لم يكن أمامهم سوى إكمال المهمة بأي طريقة وكتابة التقرير فكثيراً من المهام لم تكن سهلة وأنجزوها وحُسبت لهم في تاريخهم المهني، لم يستقرا بعد مداولات على أسباب تلك الإصابات العجيبة والنوعية والدِّقة في تنوع الإصابات تبعاً لنوع التفوق في المجال.

وصلا إلى مدينة الفلك وعلم التنجيم على غير العادة سور المدينة سليم ولا توجد آثار لأي دمار أو عدوان كأن المدينة خارج حدود

الحرب، لعلها حِيَل المُنَّجِمون أو خوفاً من لعنتهم وماذا عن العلماء أين هم؟

دخلا المدينة كل شيء على ما يرام ولكن لا يوجد سكان ربما أبيدوا جميعا أو تمّ خطفهم، تجوّلا بالشوارع شرقا وغربا ذهبا إلى أحد البنايات الضخمة يبدو عليها مختبرا يعلُوه منظارا عظيم، لم يجدا حارسا دخلا المبنى فوجدوه مكتظا بالعديد من العلماء ولكنهم جميعا شاخصة أبصارهم، اقتربا من أحدهما وحدثاه عن هذه الظاهرة، لم يزيد عمّا سبق إلا أنهم شموا رائحة عطره وبعدها شعروا بحرقان بالعينين ثم ضباب عليهما ثم عمي كامل تم استدعاء العديد من أطباء العيون ولكن لم يتعرفوا على السبب الحقيقي لتلك الظاهرة، غير أنهم أرجعوا السبب لتلف خلايا الأبصار بالمخ طلبوا منهم الذهاب للمستشفيات لعمل الفحوص المعملية والإشاعات اللازمة وكلّما همّ أحدهم الخروج أصابته نوبة صرع عند سور المدينة، لذلك آثروا السلامة والبقاء بالمدينة داخل المحبس المعنوي حتى يُحدِث الله من بعد ذلك أمرا، نظر كل منهم للآخر وكأن الحقيقة بدأت أن تنجلي والغُمَّه تتكشف، وضعا تصورا للمدينة الأخيرة فإن صَحَّت فقد أصابا كبد الحقيقة، ألقيا نظرة أخيرة على العلماء

وعندما هَمّا بالانصراف استقلا السيارة ولكنها أبَت أن تبرح المكان فقد نفذ كل الوقود استخدما الأجهزة لآخر مرة للاتصال بالجهات المعنية وشَرَحَا ما توصلا إليه حتى الآن وأصرت جهة الإدارة على استكمال المسيرة وبعد مداولات اقترحوا عليهم استكمال الرحلة بسيارة عادية من الموجودة بالمدينة، وما إن أفصح كلاهما للآخر باستكمال الرحلة حتى برز لهم أحد المكفوفين عارضا عليهم المساعدة وإعطائهم سيارته الخاصة لاستكمال المهمة وصولاً للحقيقة، نظرا إليه بشيء من الريبة والقلق وكأن أحدهم يقول للآخر بأن قد يكون قد رأى نفس الشخص في مدينة من المدن السابقة، أخفى كل منهما مخاوفه في نفسه أو قد يكون شُبِّهَ عليهما ولكن ما لم يستطيعا أن يُخفياه أنّ ذلك الشخص يتظاهر بالعمى.

أسقلا السيارة إلى وجهتهما الأخيرة، وصلا لمدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا كل شيء في فوضى كبيت عبث به أطفاله في غيبه الوالدين، الناس تمشي بطريقة غير متزنة يلهوا ويلعبوا كالأطفال لا يبدو عليهم حكمة العلماء كأنه سلبت عقولهم، أعينهم زائغة وذهنهم شارد يأتون بحركات صبيانية لا ترقى لسنهم أو علمهم، اقتربوا من أحدهم تكلموا معه وكأنهم يحدثون طفلاً في الرابعة من عمره لم

يُجدى الحديث نفعاً، وجدا تجمعاً من الناس وفي وسطهم نفس الرجل الذى أعطاهم مفتاح السيارة وكأنه يخطب فيهم أو يوجههم لشيء، يحمل بين يديه الكثير من لعب الأطفال أعطاهم إياها وأشار لهم على السيارة بداخلها الرجلان انقَضُّوا عليهم وحطَّموا السيارة وأخرجوهم وقضوا عليهم وقبل أن يلفظا أنفاسهم الأخيرة، وجدا الرجل يبتسم وينزع من بين أيديهم التقارير ويستقل سيارته وينصرف.

الصرخة

في إحدى معارضه الشهيرة يوم الافتتاح حيث يكثر المعجبين والمهتمين بلوحاته التي جابت العالم شرقاً وغرباً، وقف على المنصة كأنها المرة الأولى زائغ العينين شارد الذهن الجميع يُحدق فيه ويتلهفون لكلماته القليلة، بدى عليه التوتر، تحدث بكلمات مقتضبة عن لوحاته وعنوان معرضه عن الصرخة، شرَدَ قليلاً ثم تابع دعوا اللوحات تتحدث عن نفسها، قبيل النزول من على المنصة التي كانت لا تعلوه كثيراً فاجأه أحد الصحفيين بسؤال مُباغت:

حصلت على العديد من الجوائز العالمية لمَ لمْ يتم تكريمك ببلدك حتى الآن؟

- ربما لم يأن الأوان أو أن لوحاتي لا تروق للمسؤولين، صمت قليلا وعاد بذاكرته للماضي القريب في عيد زواجه العاشر حين دعاه أحدهم للتكريم وكانت فرحة غامرة وأثناء الاحتفال وجد المسؤول يكرمه بصفة شخصية إعجابا بأعماله حينها سألت زوجته

المسؤول عن سر عدم تكريمه في بلده أم أنه (لا كرامة لنبي في قومه)؟

أجاب بكل وضوح أن هناك معايير وموائمات لا يصح أن يخوض فيها ويكفي زوجك تكريم المعجبين وهو أفضل بكثير.

عاد مرة أخرى من شروده بِغُصّة في حلقه بدت على ملامحه حين عاود نفس الصحفي سؤاله مرة أخرى عن سبب عدم ظهوره في الإعلام أو عمل أحاديث صحفية كما يفعل زملاؤه أو أنصاف المبدعين؟

ظهرت علي ثغرة ابتسامه رضاء قائلاً حتى لا أكون من أنصاف المبدعين، قطع الطريق على باقي الصحفيين ونزل من على المنصة مسرعا وقادهم إلى حيث تقف إحدى لوحاته شامخه كتب تحتها عبارة (ليست للبيع) اسمها (الصرخة) لم يستخدم في اللوحة الكثير من الألوان ولا الأشكال ولكنها تجذب من يقف أمامها كالمغناطيس كما يفعل المُنّوم المغناطيسي في ضحاياه فلا مقاومة ولا مُغادرة أمام هذه اللوحة ولا كلام، صمت وتبتل وانبهار خيَّمَ على المكان سكون أهل الكهف تتناغم داخل اللوحة ثلاثة ألوان الأزرق الداكن والبرتقالي والأسود بها شبه إنسان يضع يديه على

وجهه فاتحاً فاه، فوق كوبري مُحاط بسور من جهة واحدة من تحته أمواج البحر المتلاطمة، لم يقطعه إلّا لقطات التصوير لهؤلاء المزعجين التي كانت بمثابة طلقات تُصّوِبها له الكاميرات، يحاول بكل ما أوتى من عزم تفاديها دون جدوى، استأذن من الجميع مُعِلِلاً دخوله الحمام نظراً لإصابته بمرض السكري، لكنه كان الهروب الأصغر حيث تركهم أمام اللوحة، لم يُبدى أحدهم رداً كأن على رؤوسهم الطير، أسعَدَهُ ذلك كثيرا فلا مبررات ولا أعذار، تركهم وذهب الى مرسمه القريب الملاذ الأمن له، كمن يحتمي بحضن أمه من الأخطار، جلس بين بقايا لوحاته منها من لم يولد وأُخريات هرمت ومنها من لم يبلغ الحلم.

فكّر بالمشهد بالخارج كيف سيتصرف مع المعجبين وهو على هذا الحال دخلت عليه زوجته عاقدة حاجبيها موّبِخة إياه كعادتها وصاحت فيه اخرج للناس واستعد لبيع أكبر عدد من اللوحات وظلّت تتحدث عن الأعباء المادية ومُرتبات الخدم ومصاريف الأولاد واشتراكات الأندية تمادى طغيانها وجبروتها بأن أمرته بأن يبيع تلك اللوحة وأن ينزع عبارة ليست للبيع وإلا.....

فكّرَ قليلاً بل كثيراً نظرا إليها مبتسما ثم أخذ قراره بالهروب.

رياض رمز التضحية

أصبحت أخشاب باب المنزل بالية من قِلّة الطَرق عليه، بجوار الباب شجرة قلّ وفائها ونمت حتى تركت المنزل يصارع الزمن وحيداً، طالما استندت على جدرانه وهى في مهدها تُكافح الجدران من أجل البقاء بعد أن تصدّعت من قِلّه الوفاء، تُزَّين الحوائط بعضُ الصور القديمة بالأبيض والأسود، في الزاوية البعيدة يقف منحنيا زير مياه جفّت على أطرافه الطحالب بعد أن كان يروي المارة حيث يقف أمام الباب في شموخ، يعتلي عرشه ذو الثلاث أرجل وترقد أسفله أعواد الريحان تستقبل الزائرين، إلى جواره منضدة قديمة مستديرة.. تقبع علبة من القطيفة بها نيشان مكتوب عليه (نجمة سيناء) وبجوارها مباشرة صورة محبوسة داخل برواز تهتّكَت جوانبه بها شخصان يرتديان الزي العسكري ينظر إلى تلك الصور شيخ عجوز بُتِرت أطرافه السفلى يجلس على كرسي متحرك، في الجوار تلفزيون عتيق كان أول من دخل القرية بعد دخول الكهرباء فيها مفتوح بصوت عالٍ على مشاهد من حرب

أكتوبر المجيدة، ويسمع صوت أغنية (الله اكبر وبسم الله ويليها جزء من خطاب السادات بمجلس الشعب ألقاه بعد العبور).

يدخل طفل لا يتعدى عمره الاثنا عشر سنة بدين يجُر رجليه التي تشكو من وزنه، بدت عليه علامات اللهفة والشوق كمن ينتظر حدث هام تحدث قائلا:

جدو.. جدو.. اقلب القناة.. عاوز أجيب المسلسل الهندي-

يضحك الشيخ العجوز ويحتضن الطفل بحنان ثم يقول له: -

تعالَ يا عبد المنعم أحكيلك حدوتة أحسن من المسلسل-

تظهر على الطفل علامات الضجر ويتحدث بصوت لا يخلو من الشغف:

لا يا جدو أنا متابع المسلسل والحلقة دي مهمة جدو -

- طيب.. أنا هسألك سؤال أنت عارف إحنا سميناك (عبد المنعم) ليه؟

- لا... أهو اسم زي أي اسم وخلاص.. بعد إذنك كده هتفوتني أهم حتة بعد البطل ما قتل العصابة وأنقذ القرية كلها

تدخل الأم في هذه اللحظة حاملة بين يديها بعض الفاكهة تصرخ في الطفل: يا عبد المنعم متغلبش جدو نظر إليها الجد مبتسما وأشار

إليها بإعطاء الولد بعض من الفاكهة وقال: إنتِ فاكره يا فاطمة إحنا سمينا عبد المنعم الاسم ده ليه؟ ترد فاطمة قائلةـ

طبعاً ودي حاجة تتنسي-

طيب ما قولتيش لابنك ليه؟ على الأقل علشان يفتخر باسمه -

الطفل في حالة من الذهول وحيرة من أمره وحالة من اللامبالاة يقول:-

هي الأسماء فيها افتخار كمان؟

(يترك الريموت من يده ثم ينظر باهتمام لأمه وجده)

طبعاً كل واحد بيسمي ابنه اسم لازم يكون ليه معنى -

وإيه حكاية اسمي بأه؟ فترد الأم:-

- تسمع عن الشهيد عبد المنعم رياض؟

لا طبعاً ثم استدرك اه دا ميدان مشهور في القاهرة -

وفى تلك الأثناء تدخل أخت عبد المنعم التي تدرس في أمريكا بمنحة من الجامعة ترتدي ثيابا قصيرة وشعرها القصير ذو الصبغات العجيبة تزين يدها بوشم:

هاي إفري بودي -

طيب.. قولي السلام عليكم بالعربي علشان نفهم-

- يا جدو.. لازم نتطور شوية العالم برّه طلع القمر وركب السفن الفضائية وصنع الروبوت وغزا الفضاء وفك طلاسم الكواكب والنجوم

استني يا حبيبة.. أنا كنت حالاً هعرف معنى اسمي إيه -

- هو اسمك ليه معنى؟!.. دا انتوا يا مصريين عليكم حاجات غريبة بشكل.. يعنى حد يعرف أم أربعة وأربعين سموها كده ليه ولا أبو قردان كمان؟

يرد عبدالمنعم مستنكرا ردها: ده على أساس إنك أمريكانية

تعرفي يا حبيبة.. إيه معنى كلمة (التاريخ) -

أيوه طبعاً يا جدو.. التاريخ زي نهر النيل ليه منبع ومجرى ومصب -

وضِّحي شوية وبلاش ألغاز-

المنبع يعني الماضي والمجرى يعني الحاضر والمصب يعني المستقبل-

يعني اللي مالوش ماض.. مالوش حاضر ولا مستقبل -

دا احنا في أمريكا المبنى اللي بقاله خمسين سنة بيقفوا قدّامه ويمجِّدوه-

طيب واللي عنده حضارة سبعة آلاف سنة.. يبقى إيه؟ -

إحنا روحنا بعيد أوي عن موضوعنا -

- عندك حق.. أنا هحكيلك حكاية كنت فيها شاهد على الأحداث.. في يوم ٩ مارس ١٩٦٩ جالنا الفريق عبد المنعم رياض.. رئيس الأركان في ذلك الوقت في جبهة القتال بالإسماعيلية ليرى بنفسه نتائج القتال وليعطي توجيهاته وحتى يكون وسط الجنود لرفع حالتهم المعنوية، وكان موقعنا يبعد عن مرمى النيران الإسرائيلية حوالي ٢٥٠ متر

- وبعدين حصل إيه؟

- شاف العدو حركة غير عادية في الموقع علشان كلنا كنا بنحب القائد وكنا حريصين على سماع تعليماته وتنفيذها ،لكن نزلت نيران العدو فجأة على المنطقة التي كان يقف فيها وسطنا واستمرت المعركة التي كان يقودها الفريق بنفسه حوالى ساعة ونص إلى أن انفجرت إحدى طلقات المدفعية بالقرب من الحفرة التي كان يقود المعركة منها، ونتيجة للشظايا القاتلة وتفريغ الهواء قاله الظابط اللي كان معاه أنا اتصبت يا فندم رد عليه وأنا كمان ولكن استمر في القتال علشان العساكر اللي معانا ميحسوش بحاجة، رد الضابط

تمام يا فندم وكانت آخر كلمات سمعاها القائد فقد استشهد وسط جنوده متأثراً بجراحه.

دمعت عيناه وصمت قليلا قبل أن يقاطعه الطفل:

- هي دي المعركة اللي حضرتك أصيبت فيها يا جدو؟

- لا.. بعد استشهاد الفريق عبد المنعم رياض انضميت للفرقة ٣٩ قتال بقيادة العقيد إبراهيم الرفاعي وقررنا الانتقام لمقتل الفريق عبد المنعم رياض في عملية سميت (لسان التمساح) قتلنا فيها ٤٤ جندي إسرائيلياً وفجرنا مخزناً للذخيرة وآخر للوقود ومدرعة واحدة ودبابتين، لكن.. تم رصدنا أنا وزميل لي خلف خطوط العدو وتم التعامل معنا بطائرة استطلاع فانفجرت إحدى القذائف بجواري حيث فقدت على أثرها أرجلي، لكن البطل عبد المنعم أحمد غلوش رفض تركي فعبر بي القناة وهو يحملني بينما كنت احتضن أرجلي حتى لا نسمح للعدو بالتمثيل به..

- أنا كده عرفت معنى اسمي وحقي إني أفتخر بيه.. أنا اسمي على اسم البطل عبد المنعم أحمد غلوش اللي أنقذك يا جدو

مش كده وبس لا دا كانت هناك فرق كثيرة للسمسمية كانت بتعزف للجنود زي فرقة (أولاد الأرض وفرقة الصامدين)

وكان ليهم أغنية شهيرة

(يا رياض يا رمز التضحية يا شهيد الأمة العربية) وكان ليها دور كبير في رفع الروح المعنوية للجنود على الجبهة في حرب الاستنزاف والإعداد لحرب أكتوبر المجيدة.

الجد (ينظر إلى عبد المنعم): روح بقى إلحق المسلسل الهندي (ابتسم الطفل وهو يزهو بنفسه)

لا يا جدو.. تاريخنا أكبر وأحسن من أي مسلسل هندي.. بس للي يعرفوا ويقرأ عنه-

انفعلت حبيبة هي الأخرى وقالت:-

وأنا كمان لما هرجع أمريكا هحكي لزملائي في الجامعة عن تاريخنا وبطولات أبطال أكتوبر-

يبتسم الجد ويشعر بالسعادة الرضا، يعاود النظر للوسام ويحدث نفسه.. (والله زمان يا بطولات)

الفهرس

الاهداء ٦

روبوت معاق ٧

ثلاثة ١٤

جواهر ١٨

لوحة إنسانية ٢٧

وفاة ٣٤

أعمى دوت نت ٤٠

السر ٥٦

الصرخة ٦٤

رياض رمز التضحية ٦٧

الفهرس ٧٤

حقوق الطبع والنسخ محفوظة

وغير مسموح بالاقتباس أو النشر بدون موافقة المؤلف

٠١٢٢١١٩٩١٩٩

كم لديك من السطور الجميلة التى اخذت
منك الكثير من المجهود و الاعتناء
لكى تكون افضل ما يمكن
لكى تعبر بها عن شعور داخلى
لم تستطع ان تشاركه مع احد غيرك
مهما كانت سطورك
قصص .. روايات .. اشعار .. مقالات
باللغة
العربية او الإنجليزية او الفرنسية

تواصل معنا
لتشارك سطورك مع العالم

01122380443